11 me Année No. 518

Lundi - 7 - 6 - 1943

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٢٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥١٨ « القاهرة في يوم الإثنين ٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٢ — الموافق ٧ يونية سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

١١ - دفاع عن البلاغة

٣ - الأســـلوب

أجل ، إن الذين آمنوا بالصياغة ودعوا إليها ، كانوا أفهم لمعنى البلاغة من الذين كفروا بها وزرَوْا عليها . ذلك لأن تجويد الصور يستلزم تجويد الفِكَر وليس كذلك العكس . والعناية الدقيقة بالعبارة سبيل إلى إجادة التفكير وإحسان التخيل كما يرى فلوبير . وفلوبير هذا كان إمام الصناعة في فرنسا ، أخذ نفسه بالتزام ما لا يلتزم غيره ، فكان لا يكرر صوتاً في كلمة ، ولا يعيد كلمة في صفحة . وكانت أذنه هي الحَكَم الأعلى في صوغ الكلام ، فلا تسيغ منه إلا ما حسن انسجامه وتعادلت أقسامه وتوازنت فِقره . قال فيه تلميذه ومواطنه موباسان : « كان يرفع الصحيفة التي يكتبها إلى مستوى نظره وهو معتمد على مرفقه ، ثم يتلو ما كتب جاهراً بتلاوته ، مصغياً لإيقاعه ؛ فكان في نَبْره وإرساله يوفق بين السكنات والحركات ، ويؤلف بين الحروف والكلمات ، ويضع الفواصل في الجملة وضعاً دقيقاً محكماً فكأنها الاستراحات في الطريق الطويل »

وقال هو لبعض أصحابه : « تقول إنني شديد العناية بصورة الأسلوب ، والصورة والفكرة كالجسد والروح هما في رأيي شيء واحد . وكلما كانت الفكرة جميلة كان التعبير عنها

أجل . إن دقة الألفاظ من دقة المعانى ، أو هذه هى تلك »[1] .

وقد غالى علماؤنا البيانيون فزعموا أن المعانى شائعة مبذولة لا يملكها المبتكر ولا السابق ، وإنما يملكها من يحسن التعبير عنها . فمن أخذ معنى بلفظه كان له سارقاً ، ومن أخذه ببعض لفظه كان له سالخاً ، ومن أخذه فكساه لفظاً أجود من لفظه كان هو أولى به ممن تقدمه[2] . على أن هذا الرأى الجرىء لم يكن رأى العرب وحدهم ، وإنما رآه معهم (بوفون) وأشياعه من كتاب الفرنج ؛ فقد قرر فى خطبته عن الأسلوب التى ألقاها يوم دخل الأكاديمية الفرنسية ، أن الأفكار والحوادث والمكتشفات شركة بين الناس ، ولكن الأسلوب من الرجل نفسه

نعم قال بوفون : إن الأسلوب من الرجل نفسه (le style est de l'homme même) ، ولم يقل : إن الأسلوب هو الرجل (le style c'est l'homme) كما شاع ذلك على الألسنة . ولم يرد بما قال أن الأسلوب ينم عن خلق الكاتب ويكشف عن طبعه كما فهم أكثر الناس ، وإنما أراد أن الأسلوب ، ويعنى به النظام والحركة الودعين فى الأفكار ، هو طابع الكاتب وإمضاؤه على الفكرة . ومعنى ذلك أن الأفكار تكون ، قبل أن يفرغها الفنان فى قالبه الخاص ، من الأملاك العامة ؛ فإذا عرف كيف يصوغها على الصورة اللازمة اللائقة تصبح ملكا خالصاً له ، تسير فى الناس موسومة بوسمه ، وتعيش فى الحياة مقرونة باسمه . فالأسلوب وحده هو الذى يملك الأفكار وإن كانت لغيرك[3] . ألا ترى أن أثر الأخلاق فى بقاء الأمم وفنائها معنى من المعانى المأثورة المطروقة ؛ فلما أجاد شوقى سبك اللفظ عليه فى بيته المشهور أصبح بهذه الصيغة من حسناته المعدودة وأبياته المروية ؟

* * *

على أنك مهما استقريت لا تجد امرأ سليم الملكات ينكر ما لحلاوة الجرس وطلاوة العبارة من الأثر الفعال فى بلاغة الكلام . وعلماء البيان مجمعون على أن (الكلام إذا كان لفظه غثاً ، ومعرضه رثاً ، كان مردوداً ولو احتوى على أجل معنى وأنبله)[4] . ومنذ تنزلت الشياطين بالسجع والقصيد على كهان الجاهلية الأولى لم يقل أحد غير كتاب آخر الزمان أن البلاغة هى الفكرة وأن البليغ هو المفكر . وفيما سلف من العهود التى صحت فيها القرائح وسلمت الأذواق كان الرجل ينصرف عن الكتابة أو الشعر إذا لم يجد فى طبعه براعة الأداء ولا فى نفسه ملكة الفن . إنما يحاجُّك فى العناية بالأسلوب من اضطر إلى مزاولة الكتابة وهو مدفوع عن البلاغة بوهن سليقته وجفاء طبعه . ولهم فى الحِجاج وقاعات سبيلك أن تُسَلِّم بها لتسلم منها . يقولون مثلاً : إن الناس يتكلمون ليفهم الشاهد ، ويكتبون ليفهم الغائب ؛ فلماذا لا نكتب مثل ما نتكلم ؟ لماذا نؤثر أن يقال : وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً ، على أن يقال : كبرت سنى وشاب رأسى ، والجملتان الأخيرتان أخصر لفظاً وأيسر فهماً ؟

على أن من أعداء العناية بالأسلوب قوماً جادِّين ليسوا من أبناء العربية ذات الأناقة الذاتية والتلاؤم المطبوع ، ولكن لهم آثاراً تُقرأ وآراء تناقش ، أولاهم بالذكر الكاتب الفرنسى إميل زولا . فلقد مكن الله لهذا الكاتب فى دولة الكتابة وآتاه أسباب النبوغ ، ولكنه ابتلاه بشىء من خشونة الطبع وفجاجة الذوق فلم يستطع مجاراة البلغاء من أنداده ومعاصريه فى رونق البيان وروعة الأسلوب ، فأخذ يهوّن من شأن الصور الفنية فى العبارة بمثل قوله : « ليس من مطلق الحق – وإن عارض بوفون وبوالو وشاتوبريان وفلوبير – أن الكاتب يكفيه أن يعنى كل العناية بأسلوبه ليشق له فى الأدب طريقاً يبقى على الأبد . إن الشكل عرضة للتغير والزوال بسرعة . ولا بد للعمل الكتابى قبل كل شىء أن يكون حياً ؛ ولا يمكن أن يكون حياً إلا إذا كان حقاً . والكاتب لا يظفر بالخلود إلا إذا استطاع أن يوجد مخلوقات أحياء » ثم يقول بعد ذلك : « وهل نستطيع أن نتبين الكمال الفنى فى أسلوب هوميروس وفرجيل ونحن نقرأهما مترجَمين ؟ » وهذا القول ظاهر البطلان ، لأن المخلوقات الحية التى يلدها ذهن الكاتب لا يتسنى لها البقاء على توالى الأعقاب والأحقاب إلا بالأسلوب كما قال شاتوبريان . ومن هنا قل اهتمام الناس بكتب زولا بعد موته ، وإن ظلت فى تاريخ الأدب هرماً شامخاً ضخماً يدل على جبروت الذهن وقوة القريحة ، لأنها فقدت النبل فى الموضوع والبلاغة فى الأسلوب ، وبغير هاتين الصفتين لا يخلد كتاب ...

(للكلام بقية)

أحمد حسن الزيات

(١) Strowski. Tab'eau de la littérature française au XIXe siecle et au XXe siecle P. 402

(٢) الصناعتين ص (١٤٦)

(٣) Des granges. Histoire de la littérature fr nçaise P. 6 2

(٤) الصناعتين ص (٤٩)

السنة وثبوت العقيدة

للأســتاذ محمود شلتوت

منشأ ظنية السنة — التواتر والآحاد — الآحاد لا تفيد اليقين — ندرة التواتر — الاسراف فى وصف الأحاديث بالتواتر وأسبابه — تطبيق

بينا فيما سبق أنه « ليس فى القرآن الكريم ما يفيد بظاهره غلبة ظن برفع عيسى أو نزوله فضلاً عما يفيد اليقين » وتمت بذلك النظرة الأولى من النظرات الثلاث التى وعدنا بها

وسنعرض فى هذا الفصل للمبادئ التى تنبنى عليها « قطعية السنة أو ظنيتها » ثم نطبق هذه المبادئ على الأحاديث التى زعموا أنها تدل دلالة قطعية على نزول عيسى ، وهذه هى النظرة الثانية

وأول ما يجب التنبه له فى هذا المقام أن « الظنية » تلحق السنة من جهتى الورود والدلالة : فقد يكون فى اتصال الحديث برسول الله صلى الله عليه وسلم شبهة فيكون ظنى الورود ، وقد يلابس دلالته احتمال فيكون ظنى الدلالة ، وقد يجتمع فيه الأمران : الشبهة فى اتصاله ، والاحتمال فى دلالته ، فيكون ظنياً فى وروده ودلالته . ومتى لحقت «الظنية» الحديثَ على أى نحو من هذه الثلاثة فلا يمكن أن تثبت به عقيدة يكفر منكرها ، وإنما يثبت الحديثُ العقيدة وينهض حجة عليها إذا كان قطعياً فى وروده وفى دلالته

ولكى يتضح مناط « القطعية والظنية » فى ورود الحديث ينبغى أن نبين ما قرره العلماء فى « التواتر والآحاد » ليكون مناراً يهتدى به من يريد الوصول إلى الحق :

قسم العلماء « السنة » إلى قسمين : ما ورد بطريق التواتر ، وما ورد بطريق الآحاد . وضابط التواتر أن يبلغ الرواة حداً من الكثرة تحيل العادة معه تواطؤهم على الكذب . ولا بد أن يكون ذلك متحققاً فى جميع طبقاته : أوله ومنتهاه ووسطه ، بأن يروى جمع عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم يروى عنهم جمع مثلهم ، وهكذا حتى يصل إلينا ، وهو عند التحقيق رواية الكافة عن الكافة

ويقول بعض علماء الأصول : « الخبر المتواتر هو الذى اتصل بك من رسول الله صلى الله عليه وسلم اتصالاً بلا شبهة حتى صار كالمعاين المسموع منه ، وذلك أن يرويه قوم لا يحصى عددهم ، ولا يتوهم تواطؤهم على الكذب لكثرتهم وعدالتهم وتباين أماكنهم ، ويدوم هذا فى وسطه وآخره كأوله ، وذلك مثل : القرآن والصلوات الخمس ، وأعداد الركعات ، ومقادير الزكوات »(١)

هذا هو التواتر الذى يوجب اليقين بثبوت الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . أما إذا روى الخبر واحد ، أو عدد يسير ولو فى بعض طبقاته ، فإنه لا يكون متواتراً مقطوعاً بنسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما يكون « آحاديا » فى اتصاله بالرسول شبهة فلا يفيد اليقين(٢)

إلى هذا ذهب أهل العلم ومنهم الأئمة الأربعة : مالك وأبو حنيفة والشافعى وأحمد فى إحدى الروايتين عنه ، وقد جاء فى الرواية الأخرى خلاف ذلك ، وفيها يقول شارح مسلم الثبوت « وهذا بعيد عن مثله فإنه مكابرة ظاهرة » وقال البزدوى : « وأما دعوى علم اليقين — يريد فى أحاديث الآحاد — فباطلة بلا شبهة لأن العيان يرده ؛ وهذا لأن خبر الواحد محتمل لا محالة ، ولا يقين مع الاحتمال . ومن أنكر هذا فقد سفه نفسه وأضل عقله »

وقال الغزالى : « خبر الواحد لا يفيد العلم وهو — أى عدم إفادته العلم — معلوم بالضرورة . وما نُقل عن المحدثين من أنه يوجب العلم فلعلهم أرادوا أنه يفيد العلم بوجوب العمل إذ يسمى الظن علماً ، ولذا قال بعضهم : خبر الآحاد يورث العلم الظاهر ، والعلم ليس له ظاهر وباطن وإنما هو الظن »

وقال الأسنوى : « وأما السنة فالآحاد منها لا يفيد إلا الظن »

وقال البزدوى تفريعاً على أن خبر الواحد لا يفيد العلم : « خبر الواحد لما لم يفد اليقين لا يكون حجة فيما يرجع إلى الاعتقاد لأنه مبنى على اليقين ، وإنما كان حجة فيما قصد فيه العمل »

وقال الأسنوى : « إن رواية الآحاد إن أفادت فإنما تفيد الظن والشارع إنما أجاز الظن فى المسائل العملية وهى الفروع دون العلمية كقواعد أصول الدين »

وهكذا نجد نصوص العلماء من متكلمين وأصوليين مجتمعة على أن خبر الآحاد لا يفيد اليقين ، فلا تثبت به العقيدة ، ونجد

(١) البزدوى

(٢) ولا فرق فى ذلك بين أحاديث الصحيحين وغيرها . أنظر مسلم الثبوت والتحرير

المحققين من العلماء يصفون ذلك بأنه ضرورى لا يصح أن ينازع أحد فى شىء منه ، ويحملون قول من قال[١] : « إن خبر الواحد يفيد العلم » على أن مراده العلم بمعنى الظن كما ورد ، أو العلم بوجوب العمل . على أن الكلام إنما هو فى إفادته العلم على وجه تثبت به العقيدة ، وليس معنى هذا أنه لا يحدث علماً لإنسان ما ، فإن من الناس من يحدث العلمُ فى نفسه بما هو أقل من خبر الواحد الذى نتحدث عنه ، ولكن لا يكون ذلك حجة على أحد ، ولا تثبت به عقيدة يكفر جاحدها ، فإن الله تعالى لم يكلف عباده عقيدة من العقائد عن طريق من شأنه ألا يفيد إلا الظن . ومن هنا يتبين أن ما قلناه فى الفتوى من « أن أحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة ولا يصح الاعتماد عليها فى شأن المغيبات »[٢] قولٌ مجمع عليه وثابت بحكم الضرورة العقلية التى لا مجال للخلاف فيها عند العقلاء !

* * *

وإذ قد عرفنا الفرق بين مناط القطعية فى الورود وهو التواتر ، ومناط الظنية وهو الآحادية ، فهناك بحث آخر يتصل بالتواتر ولا بد من النظر فيه ، هذا البحث هو : هل يوجد التواتر فى الأحاديث المروية فى الكتب المدونة ؟ وقد اختلف العلماء فى الجواب عن ذلك : فذهب قوم إلى أنه لا يوجد حديث متواتر فيما روى لنا من الأحاديث ودون فى الكتب ، ولعل هؤلاء بنوا رأيهم هذا على اشتراط عدم الإحصاء فى رواة المتواتر ، وهو مذهب لطائفة من العلماء كما تبين مما نقلناه فى تعريف المتواتر . وقال ابن الصلاح : « لا يكاد يوجد المتواتر فى رواياتهم ، ومن سئل عن إبراز مثال له فيما يروى من أهل الحديث أعياه تطلبه ، وحديث « إنما الأعمال بالنيات » ليس من ذلك السبيل وإن نقله عدد التواتر وزيادة ، لأن ذلك طرأ فى وسط إسناده ولم يوجد فى أوله . نعم حديث « من كذب على » نراه مثالاً لذلك ، فإن رواته أزيد من مائة صحابى وفيهم العشرة المبشرون بالجنة ، ولا يعرف حديث يروى عن أكثر من ستين صحابيا إلا هذا الحديث الواحد »

وذهب آخرون إلى أن المتواتر كثير فى هذه الكتب . قالوا : « إن هذه الكتب المشهورة المتداولة بأيدى أهل العلم شرقاً وغرباً مقطوع بصحة نسبتها إلى مصنفيها ، فإذا اجتمعت على إخراج حديث ، وتعددت طرقه تعدداً تحيل العادة معه تواطؤهم على الكذب إلى آخر الشروط أفاد ذلك العلم اليقينى بصحة نسبته إلى قائله ، ومثل ذلك فى الكتب كثير »[١]

وليس بنا حاجة إلى أن نعرف مدى هذه الكثرة التى يراها هؤلاء ، ويذكرونها فى مقابلة القول بالعدم ، أو فى مقابلة القول بالندرة وإعياء تطلب المثال ، وإنما يهمنا أن نلفت النظر إلى أنه لا يحكم لحديث بالتواتر ـ حتى على أكثر هذه المذاهب توسعاً ـ إلا إذا اجتمعت فيه الشروط الآتية :

١ — أن تخرجه جميع كتب الحديث المشهورة المتداولة

٢ — أن تتعدد طرق إخراجه تعدداً تحيل العادة معه التواطؤ على الكذب

٣ — أن يثبت هذا التعدد فى جميع طبقاته : أوله وآخره ووسطه

وإذن : فالحديث الذى لم تخرجه جميع الكتب المتداولة المشهورة ، أو أخرجته جميعها ولكن لا بطرق متعددة ، أو أخرجته بطرق متعددة ولكن لا فى جميع الطبقات ، بل فى بعضها دون بعض ، لا يكون متواتراً باتفاق العلماء أجمعين !

* * *

ويجدر بنا بعد هذا أن نعرض لظاهرة غريبة شاعت فى الناس ، وإن الحق ليتقاضى فيها واجبه من العلماء المسئولين أمام الله وأمام الرسول : تلك الظاهرة هى أنه على الرغم مما قرره العلماء فى شأن المتواتر تحديداً ووجوداً ، وعلى الرغم من هذا التحفظ الشديد فى الحكم لحديث مما دون فى الكتب بالتواتر ، نرى بعض المؤلفين قديماً وحديثاً يسرفون فى وصف الأحاديث بالتواتر ، وقد يقتصدون فيخلعون عليها أوصافاً أخرى كالشهرة والاستفاضة والذيوع على ألسنة العلماء ، وتلقى الأمة إياها بالقبول والثبوت فى كتب التفسير وشرح الحديث ، أو فى كتب التاريخ والمناقب ... الخ . وقد ينشط « أناس » فى سلوك هذه السبيل ، فتراهم يتتبعون مع هذا أسماء الصحابة والتابعين والأئمة والمؤلفين الذين جرى ذكرهم على ألسنة النقلة فى رواية الحديث ، وهم يعلمون أنها روايات ضعيفة لا تصبر على النقد ، وأن هذه الأسماء التى يحرصون على جمعها توجد فى كل حديث حتى

(١) كابن حزم فى كتابه « الاحكام »
(٢) العدد ٦٦٢ من الرسالة

(١) أنظر مسلم الثبوت ، والتحرير ، ومقدمة ابن الصلاح

في الأحاديث الموضوعة ، ولكنهم مع ذلك يجمعونها ، ويجتهدون في عدها وإحصائها وذكر الكتب التي اشتملت عليها لأنهم يريدون أن يخطفوا أبصار العامة ، ويستغلوا عاطفتهم الدينية ، وزعموا لهم أن هذا الحديث أو تلك الأحاديث قد وردت عن نبيكم في هذه الكتب الكثيرة وعلى لسان هذا الجم الغفير من الرواة بين صحابة وتابعين فهي متواترة لا شك في تواترها ، وهي متصلة بالرسول لا شك في اتصالها ؛ ومن حاول الطعن فيها ، أو الحط من درجتها ، فقد ضل ضلالاً بعيداً ، وحاد عن سبيل المؤمنين !

ولهذه الظاهرة أسباب :

منها ، وقد يكون أقلها خطراً ، اشتهار الحديث في طبقة أو طبقتين فتنسحب الشهرة على جميع طبقاته ، ويحكم عليه حكماً عاماً بالتواتر أو الشهرة من غير تحقيق ولا تمحيص ، وقد لا يصل الحديث إلى حد الشهرة في طبقة ما ، ولكنه جاء في «الخلافيات» فقهية أو كلامية فتعصب له أتباع المذاهب وخلعوا عليه وصف الشهرة أو التواتر تأييداً لمذهبهم ، وتناقلته الكتب ، موصوفاً بذلك منسوباً إلى جمع من رجال الرأي والمذهب فيخاله الناس مشهوراً أو متواتراً وهو ليس بمتواتر ولا مشهور !

ولقد كان للقائمين « بالترغيب والترهيب » ونقل الملاحم والفتن وغرائب الأخبار التي تميل النفوس إلى التحدث بها والاستماع إليها ، أثر عظيم في خلع أوصاف الشهرة والتواتر على أنواع خاصة من الأحاديث التي ليست بمشهورة ولا متواترة بل ربما كانت غير صحيحة[1] ، وقد تأثرت بذلك طبقة من الخاصة لم تعن بتحقيق الرواية ، ولا بمعرفة درجة الحديث ، واكتفت بنقل ما يقوله هؤلاء وإجرائه على ألسنتهم وفي كتبهم حتى شاع واشتهر

وإنما استباحوا ذلك معتمدين على ما قرره بعض علماء المصطلح من « جواز التساهل في الأسانيد ورواية ما سوى الموضوع[2] من أنواع الأحاديث الضعيفة من غير اهتمام ببيان ضعفها فيما سوى صفات الله تعالى وأحكام الشريعة من الحلال والحرام وغيرهما ، وذلك كالمواعظ والقصص وفضائل الأعمال وسائر فنون الترغيب والترهيب مما لا تعلق له بالأحكام والعقائد »[3]

وبذلك رووا الأحاديث الضعيفة بل الموضوعة ، ثم توسعوا فوصفوا الآحاد بالتواتر ، والضعيف بالصحيح ، وتناسوا مقاييس التواتر والآحادية ، ومقاييس الصحة والضعف ، ومن هنا رأينا من يصف « المعجزات الحسية » كانشقاق القمر وتسبيح الحصى وكلام الغزالة وحنين الجذع بالتواتر مع أنها غير متواترة ، وإنما هي آحادية كما قرره علماء الأصول . وكذلك رأينا من يصف أخبار المهدي والدجال ويأجوج ومأجوج وما إلى ذلك مما يذكر باسم « أشراط الساعة » بالشهرة أو التواتر

ولعل أحقر ما رأينا من أسباب الإسراف في وصف الأحاديث بالتواتر أن قوماً من المرتزقة باسم الدين وباسم الغيرة على أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم استباحوا لأنفسهم في سبيل أغراضهم الدنيا أن يصطنعوا كل أساليب التلبيس والتمويه في شأن أحاديث عيسى التي لا يمكن أن يكون منها متواتر حتى على أوسع الآراء في تحققه ، وهي مع آحاديتها يكثر ويشتد في معظمها ضعف الرواة واضطراب المتون ونكارة المعاني ، فتراهم يقولون هي متواترة قد رواها فلان وفلان من الصحابة والتابعين ، وذكرت في كتاب كذا وكتاب كذا من كتب المتقدمين ، فإذا رأوا في بعضها ضعفاً أو اضطرابا أو نكارة حاولوا التخلص من ذلك فقالوا : إن الضعيف فيها منجبر بالقوي ، وأن العدالة لا تشترط في رواة المتواتر . وهكذا يخلعون عليها ثوباً مهلهلاً من القداسة لا رغبة في علم ولا غيرة على حق ، ولكن مكابرة وعنادا ، وإصراراً على التضليل ، وليقال على ألسنة العامة وأشباه العامة إنهم حفاظ وإنهم محدثون !

* * *

بقي بعد هذا أمر لا بد من تقريره : وهو أن تلك الأحاديث كيفما كانت ليست من قبيل المحكم الذي لا يحتمل التأويل حتى تكون قطعية الدلالة ، فقد تناولتها أفهام العلماء قديماً وحديثاً ولم يجدوا مانعاً من تأويلها . وقد جاء في شرح المقاصد بعد أن قرر مؤلفها أن جميع أحاديث أشراط الساعة آحادية ما نصه : « ولا يمتنع حملها على ظواهرها عند أهل الشريعة ... وأول بعض العلماء النار الخارجة من الحجاز بالعلم والهداية سيما الفقه الحجازي ، والنار الحاشرة للناس بفتنة الأتراك ، وفتنة الدجال بظهور الشر والفساد ، ونزول عيسى صلى الله عليه وسلم باندفاع ذلك وبدو الخير والصلاح ... الخ . » ومن ذلك نرى أن السعد لا يقرر وجوب حملها على ظواهرها حتى تكون من قطعي الدلالة الذي

(١) وقد روى عن الامام أحمد أنه قال : أربعة أحاديث تدور بين الناس في الأسواق ولا أصل لها ... الخ

(٢) وفي نخبة الفكر عن بعض الكرامية والمتصوفة « إباحة الوضع في الترغيب والترهيب » انظر مسلم الثبوت

(٣) انظر مقدمة ابن الصلاح

يمتنع تأويله ، وإنما يقرر بصريح العبارة « أنه لا مانع من حملها على ظواهرها » فيعطى بذلك حق التأويل لمن انقدح فى قلبه سبب للتأويل ، ثم يحدث عن بعض العلماء أنهم سلكوا سبيل التأويل فى هذه الأحاديث فعلاً ، ويبين المعنى الذى حملوها عليه ، ولا شك أن هذا لم يكن منه إلا لأنه يعتقد — كما يعتقد سائر العلماء الذين يعرفون الفرق بين ما يقبل التأويل وما لا يقبله — إن ما تدل عليه ألفاظ تلك الأحاديث ليس عقيدة يجب الإيمان بها ، فمن أداه نظره إلى أن يؤمن بظاهرها فله ذلك ، ومن أداه نظره إلى تأويلها فله ذلك ، شأن كل ظنى فى دلالته

ومما تقدم يتبين جلياً « أنه ليس فى الأحاديث التى أوردوها فى شأن نزول عيسى آخر الزمان قطعية ما ، لا من ناحية ورودها ولا من ناحية دلالتها » . والسلام على من اتبع الهدى

محمود شلتوت
عضو جماعة كبار العلماء

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

فى دار المفوضية الأفغانية — مع النحاس باشا — مع الدكتور طه حسين — مع الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا — نفحات عراقية

فى دار المفوضية الأفغانية

كانت عصرية الخميس الماضى موعد الاحتفال بعيد استقلال أفغانستان ، فأقبل على دار المفوضية الأفغانية بالزمالك جمهور من رجال السياسة والأدب والدين ، وشعر الزائرون جميعاً بأنهم فى دارهم ، بفضل المودة التى يضمرها سعادة السيد محمد صادق المجددى لأهل هذه البلاد ، وبفضل ما يكنه المصريون لهذا الرجل من الإجلال

ولكن ما القيمة الصحيحة للسيد المجددى ، القيمة التى توجب أن يبقى فى مصر مدة لم تتفق لغيره من السفراء ؟

التوفيق بيد الله ، ومع هذا فمن الواجب أن نحاول وزن الرجل من الوجهة الأخلاقية ، فقد يكون فى ذلك ما ينفع بعض الدبلوماسيين من رجال الشرق

المجددى ذكىٌّ جدًّا ، ولكنَّ ذكاءه يشبه النبع الذى يترقرق تحت الرمال ، فهو يرى الأمور على ماهى عليه من قُرب أو من بُعد ، ثم يؤدى واجبه بلا جَلَبة ولا صياح

والمجددى سفيرٌ مسلم فى أمة إسلامية ، مسلم صادق إلى أبعد حدود الصدق ، وقد يُعَدّ من النوادر فى بعض السِّمات ، وإلا فمن يصدّق أن وزيراً مفوّضاً ينزل من سيارته ليساعد على حمل نعش ، عساه يظفر بموعود الثواب ؟

والمجددى يقيم حفلات موسمية متصلة بالأعياد القومية فى أفغانستان ، ولكنه لا يُلقى خطبة إلا فى الحفلة التى يقيمها بمناسبة المولد النبوى

وهو يعتكف أياماً من كل سنة فى أحد المساجد اعتكافاً لا يسمع به غير الخواصّ . وأين من يصبر على الاعتكاف بالمساجد فى هذا الزمان ؟

وإسلام المجددى إسلام لطيف فهو يحيا حياة ذوقية قليلة الأمثال

دخلت المفوضية الأفغانية مع السيد خالد الشوربجى ، فلما جاء السيد المجددى لاستقبالنا قدَّم إليه الشوربجى سبحة ، فقال المجددى : وأين القرنفلة ؟

وكان ذلك لأن المجددى نسى فى المفوضية العراقية سبحة وقرنفلة ، ولم يفته حين تردّ إليه السبحة أن يذكر القرنفلة ، كأنها أُهديتْ إليه فى ساعة صفاء

ويظهر ذوق المجددى فى أحاديثه الإخوانية ، الذوق المطلول بندى الوجدان ، فهو يحادثك بروحه وقلبه حديث الرجل المفطور على صدق الطوية ، ولا تلمح فى بشاشته أى تكلف أو افتعال

وقد ربى أبناءه فى مصر تربية عربية إسلامية ، ليكون اتجاههم إلى المشرق لا إلى المغرب ، وليضمن انتفاعهم بالإقامة فى وطن الأزهر الشريف

لم تكن لمصر مفوضية فى أفغانستان ، فسعى السيد المجددى لحمل الحكومة المصرية على إنشاء مفوضية هناك ، ثم لاحظ أنها تتردد ، فأعلن أن هذا التردد قد يقهره على مفارقة مصر بعد أن أحبها أصدق الحب . وبهذه اللمحة الوجدانية وصل إلى ما يريد

أما بعد فهذه كلمة نكتبها لوجه الله فى تحية رجل من المؤمنين بالله .

مع النحاس باشا

كانت مصادفة جميلة فى ذلك اليوم الجميل ، فقد جلست مع رفعة النحاس باشا على مائدة واحدة وتجاذبنا أطراف الأحاديث

والنحاس باشا يترسل حين يتحدث ، ويحرص على أن يقدم لحدثه أطايب من المعاني اللطاف

مرّ اسم « عبّاد الشمس » بالحديث فقال إن اسمه بالفرنسية tournesol لأنه يدور مع الشمس ، وهو رمز الرياء

فقلت : إن عباد الشمس يدور مع الشمس بإرادة لا تعرف التقلب ، فمن الظلم أن نضيفه إلى زمرة المرائين ، وإن سمح رفعة الرئيس فأنا أذكر أن رمز الرياء هو « أبو رياح » لأنه يدور مع الرياح بلا إحساس ، وبهذا الوصف عرفه العرب ، وكان له مكان فوق أبواب القصور وأسوار البساتين

وعند ذلك قال عبد الفتاح باشا الطويل ، ولا يزال أبو رياح معروفاً عند باعة الحلويات ، ويكثر وجوده في الموالد والأسواق

وسأل أحد الحاضرين من الأجانب رفعة الرئيس عن موعد اصطياف الحكومة بالأسكندرية فأجاب : سُيحدَّد الوعد بعد استئذان جلالة الملك في أن يكون انتقال الحكومة إلى هناك بصفة رسمية ، فقال السائل : وما الفرق بين الصفة الرسمية وغير الرسمية في الأصطياف ؟ فأجاب رفعة الرئيس : الاصطياف الرسمي يوجب انتقال الهيئة الدبلوماسية إلى هناك

فقلت في نفسي : هذا بعض ما كنت أجهل من تأثير الرسميات

ثم اعتذر الرئيس بأن عليه أن يحضر حفلة يونانية وانصرف قبل نهاية الاحتفال .

مع الدكتور طه حسين

والتفت فرأيت الدكتور طه بك قريباً مني فمضيت للتسليم عليه ، ودار الحديث :

— هل يعرف سيدي الدكتور أن ورق الطباعة قد انعدم أو كاد ؟

— إنها فرصة ثمينة جداً

— انعدام الورق فرصة ثمينة جداً ؟

— بالتأكيد ، لأنه يريح الناس من مؤلفات زكي مبارك سنة أو سنتين !

— ولكن ما رأيك في الكتب المدرسية ؟

— هذا ما نفكر فيه ؛ وقد نصل إلى شيء ، فليس من الصعب أن تقنع الحكومة بأن استيراد السماد لا يغني عن استيراد الورق

— وهل يعرف سيدي الدكتور أن إرسال المطبوعات المصرية إلى الشرق قُيِّد بقيود ثقال ؟

— أعرف ذلك وقد انتهينا إلى حَلّ

— ما هو ذلك الحل ؟

— قيدنا إصدار المؤلفات القديمة ، وأبحنا إصدار المؤلفات الحديثة بلا قيد ولا شرط ، تشجيعاً للتأليف الحديث ، فليس من الرفق ولا من العدل أن تصد المواهب المصرية عن الاتصال بأمم الشرق ، ويكفيها ما تعاني من أزمة الورق وغلاء المطبوعات

— ولكن ما الموجب لتقييد التصدير بالنسبة للمؤلفات القديمة ، ولبعضها أهمية لا تحتاج إلى بيان ؟

— المؤلفات القديمة موجودة في أكثر بقاع الشرق ، فمن واجب كل أمة عربية أو إسلامية أن تنشر ما تحتاج إليه من تلك المؤلفات . وهل تظن أن الجاحظ مثلاً يحتاج إلى تشجيع الحكومة المصرية ؟ إنما يحتاج إلى التشجيع جماعة المؤلفين من الأحياء ، وقد نشأوا في زمن لا ينقل فيه الفكر بغير الطباعة والتوزيع .

وما كدنا نفرغ من هذا الحوار الهادئ حتى رأينا رجلاً يقول : يا دكتور طه بك ، عندي مؤلفات عميقة جداً لا يفهمها أحد غيرك ، فمتى أعرضها عليك ، لأعرف رأيك ؟

فقلت : إسمع يا حضرة المؤلف العميق ، إن الدكتور طه مشغول في هذه الأسابيع ، فانتظر إجازته الصيفية ليَفرُغ لك ولأمثالك من أهل العمق العميق !

وتفضل حضرة المؤلف فمنح الدكتور طه بطاقته الغالية ليذكره حين يستريح في إجازة الصيف !

قال الجرّاح الدكتور محمد كامل حسين وهو يتأمل تلك البطاقة المزخرفة : يجب على وزارة المعارف أن تؤلف لجنة لدرس مؤلفات هذا المؤلف العميق !

فقلت : ومن أجل هذا المؤلف توصد الأبواب في وجه الجاحظ !

وأسرع الدكتور طه فانصرف قبل أن يتم الحديث

مع الشيخ مصطفى باشا

ولقيت فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا عند الباب فرجعت معه لآنس بحديثه لحظات ، ولم أكن رأيته

منذ شهور طوال فاقترحت عليه أن يقيم في كل سنة موسماً دراسياً بالرواق العباسي ، إحياء لذكرى الشيخ محمد عبده ، فقال إن ذكرى الشيخ تقع في يونية . فقلت ليس المهم ذكرى الوفاة وإنما المهم ذكرى الدرس ، وهي مقيدة بالعام الدراسي

— في النية أن تقام في مباني الأزهر الجديدة قاعة محاضرات باسم الشيخ محمد عبده

— أهم من هذا أن يقترن الرواق العباسي باسم الشيخ محمد عبده ، ففي ذلك الرواق تألق نجم الشيخ ، وفيه دارت المساجلات بين طلاب الحق واليقين

— ما الذي يمنع من أن تقدم هذا الاقتراح لفضيلة الشيخ المراغي ؟

— الشيخ المراغي يرحب كل الترحيب ، فاستعد أنت ، وليستعد من انتفعوا بآراء الشيخ محمد عبده ، عساكم تحيون ذكراه بأبحاث متصلة بالمعضلات العقلية في هذا الجيل

ثم تحدثنا في تأثير الشيخ عبده في زمانه ، فقال الشيخ مصطفى : كان السلطان حسين كامل يحمل المصحف دائماً . وكان يقول : أنا مسلم على مذهب الشيخ عبده

وتحدثنا عن صنيع الشيخ رشيد رضا في نشر مؤلفات الأستاذ الإمام فقال الشيخ مصطفى : خدمات الشيخ رشيد لا تنكر ، ولكنه ظل بعيداً عن روح الشيخ عبده ، فقد كان يسرع إلى تكفير المسلمين لأقل الشبهات ، مع أن الشيخ كان يحكم بأن الرأي الذي يحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجهاً ويحتمل الإيمان من وجه واحد يحمل صاحبه من المؤمنين

وعرفت من حديث الشيخ مصطفى أن أوراق الشيخ عبده قدمت إلى الشيخ رشيد لينتفع بها في تدوين تاريخه بعد أن اعتذر الشيخ عبد الكريم سلمان ، وأن تاريخ الشيخ عبده روعيت في تدوينه أشياء ، فلم يدوّن على الوجه الصحيح فيما يمس تلك الأشياء

ثم ماذا ؟ ثم أذكر أن المستر بلنت قال في مذكراته : لقد وجب علي أن أسجل شعوري نحو الشيخ محمد عبده ، فهو في نظري أصدق رجل عرفته في الشرق

وأنا أشعر بمثل هذه العاطفة نحو الشيخ مصطفى عبد الرازق فهو في نظري أصدق الأوفياء ، وهو معي في كل وقت ، وإن كنا لا نلتقي إلا في القليل من الأحايين

— الصديق الحق هو الذي يحمل الصداقة في مكانة من القدسية لا تتأثر بالقرب أو البعد ، ولا تختلف باختلاف الظروف ، ولا يزيدها تقادم العهد إلا صفاء إلى صفاء

نفحات عراقية

أصدرت مجلة « الغَرِيّ » عدداً خاصًّا بالوفد العلمي ، وفد الأساتذة المصريين إلى النجف ، وهو مجموعة من الخطب النفيسة والقصائد الجياد ، وفيه ذُكِرَت مصر بالخير على ألسنة فصاح ، وأفئدة صحاح

قرأت تلك المجموعة حرفاً حرفاً ، ومتعت خاطري بذكريات النجف والموصل والبصرة والحلة وبغداد ، وهي بلاد الأهل والأحباب ، ثم سرني أن أرى خطباء النجف وشعراء النجف بعافية ، وإن لم أر اسم السيد عبود شلاش بين الخطباء

وتذكرت الصديق الذي زرت معه النجف ، فمن ذلك الصديق ؟

لن أنسى أبداً أني زرت النجف مع السيد صادق الوكيل ، ولن ينقضي حزني عليه ، وكان أكرم صاحب وأكرم أليف

لو عاش هذا الفتى لوصل إلى خفايا الدقائق من التاريخ الإسلامي

ولو كنت أعرف أنه سيُخْتَضَر لأديت إليه بعض حقوق الوفاء

كان طيِّع القلم في الرسائل الإخوانية ، فكنت أتلقى منه خطاباً في كل أسبوع ، برغم تقصيري في الجواب ، لأنه كان يعرف أن الوقت لا يوافيني بما أريد ، والصديق الذي يعتذر عن أخيه نادر الوجود

إن زرت العراق بعد حين أو أحايين فسأمر على كربلاء ، لأقرأ الفاتحة على قبرك يا صادق ، ولأعزي أهلك ، إن جاز لمن يفقدك أن يجد العزاء

أترك هذه اللواعج وأشكر لمجلة الغَرِيّ لطفها مع الأساتذة المصريين ، راجياً أن تلوح فرصة قريبة نجزي فيها العراق لطفاً بلطف ، وجميلاً بجميل

زكي مبارك

حكم في القضية ن ٣٤٨ سنة ١٩٤٣ جنايات العسكرية ضد ابراهيم حسين عامر بحبسه ثلاثة أشهر مع الشغل وتغريمه مائة جنيه والمصادرة وإغلاق المحل لمدة ثلاثة أيام ونشر الحكم بجريدتي الرسالة والكاتب وتعليقه بمتجر المتهم والقسم التابع إليه لمدة شهر على نفقته لبيعه الشاي والسكر بأزيد من السعر المحدد

موســـيقا ...

للأســـتاذ دريني خشبة

كلما جلست وحدى تحت قبة السماء ، لا يمضى غير قليل حتى تملأ أذنى موسيقا الأفلاك ... الأفلاك العلوية ... التى تسبح فوقها الملائكة !

ما أطيب الوحدة فى هذا الزمن ! إنها تصلنا بالأول والآخر، والظاهر والباطن ... إنها تصلنا بالله !

ما أجمل موسيقا هذا الوجود المشرق بنور ربه ! النور الذى يُدَوّى بأعذب الألحان فى قلوب الشعراء والمؤمنين والمحبين ! النور الذى يفيض على الخمائل فيغنى الورد ، وتصدح البلابل ، وتسقسق العصافير ، ويهتز الأيك ، ويستيقظ الوادى النائم ، ويصحو النهر الوسنان ، وتهرول الأنجم الحَيْرى ، ويقف البدر الخجول مستأذناً عند أبواب المغرب الفضية !

غَنِّ يا قلبى فكل ما فى الوجود يغنى !

هات ألحانك فكل ما فى الكون ألحان !

ألحان صامتة هنا ، وألحان مُدَوِّية هناك ؛ وألحان من ألوان الزهر الضاحك ، والفَنَن المورق ، والبلبل الشادى ، والخرير المترقرق ، والنسيم العاشق ، وعبير الحب فى القلوب اليافعة ، وابتسام الأمل فى قلوب العذارى ، ووراءة الحَمَل وهو يقضم الكلأ ، ثم يحسو جرعة من صفحة الغدير !

تلك موسيقا الخلود أيها الفؤاد المعمود !

ألست ترى إلى قطرات الكد التى تتحدر فوق جبين العامل ! وتفيض ملء أسارير الفلاح ؟ ... إنها صلوات الرجاء الذى لا ينقطع ، وأدعية الأمل الذى لا يخيب ... إن لها بين يدى الله لغِناء تردده الملائكة من حول العرش ، كما تردده الأطفال من حول الأم ... أما فى قلوب العمال والفلاحين ، فهى موسيقا الإيمان الذى لا ينقم ، والرضى الذى لا يسخط ، والقناعة التى لا تضيق ، والتسليم الذى لا يعرف الحسد

كل ما فى الكون ألحان فتغن يا فؤادى

ليست ألحان الرياح فى أوتار الدوح ، ولا هديل الحمائم فى ضحى القرية ، ولا موسيقا الكروان فى هدأة الليل ، ولا تنهدة الحسناء فى ضوء القمر ، ولا تناجى المحبين فى غفلة الرقباء ، ولا همس القُبَل المذعورة فى أول لقاء ، ولا رعشة الشفاه الظامئة وهى تغترف ، ولا المعانى الراقصة وهى تغازل خيال الشاعر ، ولا مس فم الأم وهى تسجل أسرار قلبها فوق جبين الطفل ، ولا قطرات الندى وهى تُفتّح أكمام الورد ، ولا آراد الشمس وهى توشى أذيال السحاب عند ما يتنفس الصبح ، ولا حفيف الريشة فى يد المصور وهى تجمش اللوحة ، ولا صلاة الناسك وقد فنى فى الله فى سكون الخلوة ، ولا تبرج الموج وهو يعانق رِحسان الصيف قريباً من الشاطىء ، ولا براءة الطفلة وهى تضم القُطيطة إلى صدرها النابض ، ولا غناء القلوب الملتاعة حين تلتقى ، فتتماس ، وتخفق ثم تهدأ ...

ليس هذا كله إلا موسيقا الوجود المتحد ، فغن مع القافلة يا قلبى ! ...

إنحد بالأغنية الكبرى التى تصغى إلى موسيقاها العذبة الحنون ترددها قرائح الشعراء ، وتصدح بها أسراب الطير ، وتنفخ فى نايها أنفاس الريح ، وتستروح إليها قلوب المدنفين ، ويستجيب لها بيان الأديب الذى يغدو لهــا مزماراً ، ويقدم من روحه لجرسها قيثاراً ، فيجعلها دموعاً فى أعين المحبين ، أو رحمة فى جوانح الحزانى ، أو حمرة فى شفة كل عذراء ، أو سحراً فى أهداب كل حورية ، أو نفحة فى فؤاد كل مبتئس ... أو ما شاء له فنه الذى جعله الله مرآة هذه الحياة الدائبة ، ولسان هذا العالم الشادى

* * *

لله ما فى حناياك من حناياى يا وتر !

تعال أسمعك أناتى التى هاجت حَرّها أناتك ... أنت أيها المعجب المطرب ، إن عندى ما يشجى وما يبكى ! ... إن هــذا النغم الحلو النحيل الذى يمس الشاعر المترنحة كما يمس الفراش أفواف الزهر ... إن هذا النغم الذى يشبه الأهداب الطويلة الناعسة ، هو نغم ضحوك طروب ثمل ، يصدر عنك ولا يرتد إليك . إنه يمس القلوب مساً خفيفاً ثم يمضى كما تمضى الذكريات السعيدة ، ويتبدد كما تبدد الاحلام الفضية ، وقلما يبقى منه شىء فى السويداء تستعين به على تخفيف آلامها وتلطيف مآسيها ... وإن بقى منه شىء فإنما يكون أطيافاً . أطيافاً من آهات ولوعات

ولهفات ، تزيد الشجا فى صدر الشجى ، وتؤجج اللظى فى قلب الشتاق . إنها تزيد المواجع ولا تشفيها ، وتثبتها ولا تنفيها ، إنهـا تفجر دموع الضعفاء الذين يعتزلون الدنيا من أجل غادة ، ويلبسون المسوح من أجل حب خائب ، وغرام تعس

أما موسيقاى يا وتر ! فمن لى بكلمات أعصرها من قلبى دماً ، إذا جملته سطوراً على أديم طروسى ، وقرأها الناس ، ملأت قلوبهم ، قبل أن تملأ أسماعهم ...!

هذاك قلمى يا وتر ! إنه أشبه اليراعات بالناى الذى يبكى معك ليبكى الناس ! أليس ينفث من شباته ما تتغنى به الإنسانية من ألحان هذا الزمان المضرج بالدماء ، مثل ما ينفث نايك من ألحانه الجرية التى يتغنى بها السهاة الفتاة العرابيد !

اسمع إلى موسيقاى يا وتر ، تحملها الصبا من جوانح الأمهات والأيامى والمنكوبات فى جنبات الفستولا وحفافى اليانج وضفاف الروهر . ثم من مغاور الأولمب وكهوفه ، وليس من شعافه ومشارفه التى كان يصدح فوقها أبوللو ، إذ تهدهد مركبته أورورا الوردية فوق السحب مطلع كل شمس

هَلُمَّ أسمعك موسيقاى يا وتر !

هلم أسمعك دقات القلوب النابضة ... القلوب المجروحة ... قلوب العذارى البولونيات اللائى لَدَىّ من همس عيونهن ، ومشبوب ضلوعهن ، ما لا يدور لك فى خلد ! تعال ... أرهف آذانك التى يملؤها الشدو دائماً بما تتشكى هذه الفتاة التى تقول لى وهى تبكى : « لقد كان لى أب ... لقد كان لى أم ... لقد كان لى حبيب ... والآن ها أنذى جائعة ... ها أنذى ظمآى ... ظمآى إلى كل شىء ... إن صدرى يحرِّقه الظمأ ، وتشويه الحُرَق ، وتفتات به الآلام ... وإن جمالى الذى كان العالم يفتتن به ، قد ذبل ، إنه يدمى الآن فى أسمال الفاقة ، وفى وادى الموت والتشريد . إنه يبكى على الآباء والأمهات والأخوة ... وعلى كناره الذى كان يملأ جنة حبه بالشدو ، ويغسل أرضها بالدمع ، ويورق أغصانها بالتغريد ... يارب أين ذهب كنارى ... لم لم يفرد جناحيه للريح حين هبت زوابع الهون ؟ هل ظن أنه يحول بينى وبينهم بأغنياته ؟ ما كان أرق فؤاده يا ربى ؟ ... ولكن ما لى أذكر كنارى الحبيب ولا أذكر بيانكا ... بيانكا الصغيرة ذات العامين ، التى ظلت تحت الردم يومين ، ولما أُخرجت فى الثالث سألتنى بصوتها النحيل الباكى الذى يتحشرج : ماما ... أين ماما ؟ فلما أنبأتها أنها تنتظرها فى الجنة ... تلك الحديقة الكبيرة اليانعة التى غرستها يد الله ، تبسمت ، وأطبقت جفنيها وأسلمت آخر أنفاسها وصعدت إلى الله القادر اللطيف لتقابل أمها فى الحديقة الكبيرة اليانعة ... ولعلها تتذكر حينما تلتقى بالبستانى فتروى له ما صنع الهون

ولأترك لك بقية القصة ، قصة البولونية تلحنها أنت وتغنيها أنت ... وتزفر بها أنت . ثم تبكى بها ملء عيون الإنسانية وملء قلوبها يا وتر !

* * *

تعال ... تعال أُسمعك من أناشيدى الباكية يا وتر !

هل سمعت ما قالت كيتى اليونانية ، عذراء كوريتزا ، وهى تبكى ؟! إن أنين القيثار كله يذهب فى بعض أنينها يا وتر ... لقد كانت تذيب روحها قطرات من الدمع المختنق ترسله قطرة فقطرة من عينيها الترتين ، إذ هما ترويان مأساتها ... مأساة أفروديت وباللا وسيرز وبندورا ... بل مأساة الجمال والحكمة والخير والأمل !!

أسكبى دموعك يا ورود الحديقة على فينوس الجميلة التى أثخن الأعداء جسمها البض بجروح الوحشية المتبربرة المزهوة بالطائرات والدبابات والغواصات والطرابيد !

أسكبى دموعك يا ورود الحديقة على أدونيس الغُرانِق الذى جندله الخنزير البرّى وراح يلغ فى دمه ، ويسلب القوت من أطفاله الغُراة الظِّماء الجياع الذين هبُّوا يردُّون عن عرينهم الضبع ، فهب الخنزير البرىُّ إلى معونة ابن عمه ... لكنه ذاده آخر الأمر عن الجثة التى غرز فيها أظافره ، ووقف على رمتها يقهقه ويغنى

اسمع إلى كيتى عذراء كوريتزا يا وتر ، وهى تروى مأساتها :

« لقد كان لى أب ... لقد كانت لى أم ... لقد كان لى كنارٌ حبيب يملأ حديقة حياتى ترجيعاً وتسجيعاً ... يبتسم لى وأبتسم له ... ويملأ قلبى بالمُنى البيض ، وأفعم حياته بشر الأمانى ... ثم جاءت القائمة السوداء تنعيه من ميدان المجد والشرف ... فلبست عليه البياض الذى ترى يا وتر ... لأنه

على هامش النقد

الأدب «المهموس» والأدب الصادق

للأستاذ سيد قطب

قلت فى كلمتى السابقة عن اللون المفضل من ألوان الأدب الذى يدعو إليه الأستاذ مندور

« من جميع النماذج التى اختارها حتى الآن — والنموذج كما قلت أكثر دلالة من الشرح العام - أستطيع أن أسمى هذا اللون باللون «الحِنّيّن» حسب تعبير أولاد البلد من القاهريين ا الذى تحس فيه « بالحنية » أو بالهمس والوداعة الأليفة حسب تعبيره هو »

ولست أحب أن أظلم الأستاذ «مندور» ولا أن أشوه صورة اللون الأدبى المفضل لديه . فليس فى الأمر ما يدعو إلى هذا العناء ، أو هـذا الالتواء . فأنا أسجل له هنا — فى الرسالة — بعض الشرح لما يريده نقلاً عن « الثقافة » . قال فى أحد الأعداد :

« الهمس فى الشعر ليس معناه الضعف ، فالشاعر القوى هو الذى يهمس ، فتحس صوته خارجاً من أعماق نفسه فى نغمات حارة ؛ ولكنه غير الخطابة التى تغلب على شعرنا فتفسده ، إذ تبعد به عن النفس ، عن الصدق ، عن الدنو من القلوب »

ثم قال فى عدد آخر :

« وبعد ، فهناك شعر صادق جميل ، وهناك نثر صادق جميل ، سميتها مهموسة لأعبر عما يثيره التعبير الفرنسى « à mi-voix » الذى نستطيع ترجمته حرفياً بـ « نصف الملفوظ » والمعنى فى نفسى ليس واضحاً تمام الوضوح ، لأنه فى الحق إحساس أكثر منه معنى ، وإنما أستطيع أن أوحى للقارىء بشىء منه . إن قلت إننى أقصد إلى ذلك الأدب الذى سلم من الروح الخطابية التى غلبت على شعرنا التقليدى منذ المتنبى »

ثم يقول فى نفس المقال :

« لست أدرى أنصحت أم لا . ولكنى فى الحق أعتمد على نفاذ روح القارىء : لأنى يائس من أن أحيل إليه ما فى نفسى حلاً تاماً ، ولهذا أترك له دائماً مشاطرتى التفكير والإحساس .

قَدّم قلبَينا قرباناً للوطن ... ولما مضيت فى إثره أقتل الهون البرابرة الذين قتلوا كنارى ، قبض علىّ سفّاحهم فى طريق العودة ، ولما أقتلْ من كلابهم غير عِلْجَيْن ... فوا أسفاه على أن لم أروِّ الأولب بدمائهم جميعاً ... »

* * *

إسمع إلى لحن الإنسانية المجنونة يا وتر !

الإنسانية التى أصابها هذا السُّعار المحزن الذى جَرّح القلوب وقَرّح العيونَ وبرّح بالقافلة ...

ألا أيها الليل الطويل متى ينبلج الفجر ؟

إلا أيتها العِير الضالة متى تطلع الشمس ؟

ألا أيها الوتر اللاجئ معى نجد فنسمع قوى هدير الموج الصخاب وهزيم الريح الصرصر وانتظار قلب الإنسانية الباكية . .

الإنسانية التى تدفن أطفالها تحت الردم ، وتهوى جواريها فى بطن اليم ، وتبث ألغامها فى البحر واليَبَس ...

الإنسانية التى تضحك وتبكى ، وتنوح وتغنى ، وتلبس السواد وتلبس البياض ، وترقص فى العُرس كما ترقص على المقبرة ، وتتحمّس فى الخندق كما تتيه فى الحانة ...

ما هذا ؟

ما ذا تسمع يا وتر ؟

ما هذا الصوت العذب الجميل الذى يقول :

أيها الخفاق فى مسرى الهواء !

ولمن هذا اللحن الخلاب :

يا شباب النيل !.

يا عماد الجيل ؟ !

يا للموسيقا ؟ !

أين هو اللواء الخفاق ؟ وأين هم شباب النيل عماد الجيل ؟

اصدق يا موسيقا ... اصدق ... اصدق فقد جد الجد ، وآن أن يزهق الباطل !

دربى مصبح

عليه أن يصل ما أقطع ، وأن يفصل ما أجمل ، وأن يضفى على الإشارة كل ما خلفها ...

وقد عنيت أن أسجل هذه الفقرات ، ولعلها أقوى وأوضح ما يصور فكرة الأستاذ مندور — أو إحساسه بتعبير أصح — وهــذا اللون الذى يدعو إليه فى الأدب ، لون حبيب ، ما فى ذلك شك ؛ ولكنه ليس اللون الوحيد الذى نعادى كل ما سواه ، لأنه ليس الصورة الوحيدة للحياة .

ولم يكن خطأ الأستاذ مندور فى هــذا التضييق وحده — عند رسم آفاق الأدب — ولكنه كان كذلك فى رسم صورة واحدة لهذا اللون الواحد عند اختيار نماذجه — والنموذج الواحد هو الذى يكشف عن الصورة الباطنة فى نفس المتحدث — فإذا جاز لى أن أعد النماذج التى جاء بها صورة للون الذى يدعو إليه، لم أكن حينئذ ظالماً له ، ولا مشوهاً لغرضه حين سميت الأدب المهموس بالأدب « الحنين » !

وأحب أن أطمئن الأستاذ مندور على أننى أحس ما فى نفسه مما لا يستطيع أن يحمله إلى القارئ حملاً تاماً — كما يقول — ولا أرى فى استنجاده باحساس القارئ لتكملة ما يريد وتفصيله ، عجزاً ولا قصوراً — كما رأى البعض — فالحس الفنى لا تستطيع الألفاظ دائماً أن تحمل معانيه كاملة بوضوح ، وحسبها أن تشير إليه وأن تستثير فى نفوسنا المعانى والأحاسيس والذكريات الخاصة به

وهو فى شرحه للأدب المهموس ، كان أوسع أفقاً وأرحب صدراً ، من الأمثلة التى جاء بها جميعاً من لون واحد ، ولو كانت المسألة مسألة علمية أو فكرية لكان هذا الشرح هو كل شيء . ولكنها مسألة فنية ، فالمثــال هو الأصدق والأصح فى تصوير الشرح العام

وإذا قلت : كان أوسع أفقاً وأرحب صدراً ، فإنما أقيسه إلى نفسه فى فهم الأدب . ولا أحتاج أن أقول : إن ذلك الأفق ليس وسيعاً ، وهذا الصدر ليس رحيباً ، بالقياس إلى الفهم العام الذى يجب أن تمنيه جميع الألوان الصادقة من الفنون ، لا لون واحد قد يكون أفضل الألوان ، وقد لا يكون !

وقد قلت فى الكلمة السابقة : « إنه كان موفقاً فى اختيار بعض النماذج ، غير موفق فى اختيار بعضها ، فقصيدة « يا أخى » لميخائيل نعيمة ، وقصيدة « ترنيمة سرير » لنسيب عريضة يعدان نموذجاً طيباً لهذا اللون بذلك القيد . ولكن ما عداهما من مختاراته كان نماذج رديئة للشعر عامة ، ولهذا اللون من الشعر كذلك ، لا فى الأداء وحده ، ولكن فى حقيقة الشعور »

فأحب أن أفصل هذا القول بعض التفصيل

يقول الشاعر « نسيب عريضة » بعنوان « ترنيمة سرير » :

ظلام الليــل قد جنا   وبوق الهمّ قد رنّـا
فنم يا طفل لا يهنـا   غنى بات شــبعانا

فتــام اليأس غطّانا   فنمْ ، لا عين ترعانا
إذا ما صبحنـا حانا   حسبنا الصبح أكفانا

ألا يا همُّ يكفينـــا   لقـد جفّتْ مآقينا
لو ان الدمع يغـذونا   أكلنـا بعض بلوانا

فتنال هذه القطعة إعجاب الأستاذ « مندور » وحبه ، وهى حقيقة أن تنال هذا منه ، ومنا نحن أيضاً — بوصفها لوناً من ألوان الأدب ، لا بوصفها اللون الوحيد الذى يحب —

ولكن الشاعر يقول قطعــة أخرى بعنوان « يا نفس » لا تبلغ أن تكون فى هذا المستوى ، ولا أن تكون نموذجاً شعرياً ، فتنال إعجاب الأستاذ مندور كذلك لأسباب سنذكرها بعد . وهذه بعض مقطوعاتها :

يا نفس مالك والأنين   تتألـين وتؤلمين
عذبت قلبى بالحنين   وكتمته ما تقصدين !

قد نام أرباب الغرام   وتدثروا لحف السلام
وأبيت يا نفس المنام   أفأنت وحدك تشعرين؟

والليل مر على سواك   أفا دهاهم ما دهاك
فلم التمرُّد والعراك   ما سور جسمى بالمتين

ولا يعلو مستوى بقية القصيدة عن هذا المستوى ، الذى لا شعر فيه ولا حرارة . وأحسب أن وضع القصيدتين متقابلتين — وهما لشاعر واحد — يكفى للاحساس القوى الواضح بما بين مستواهما من فروق . ولكن الأستاذ مندور يصب إعجابه عليها حبًا . ورائده فى ذلك أمران :

الأول : أن القصيدتين لشاعر من شعراء المهجر . وهو يحب شعراء المهجر ، لأنه حين ذهب إلى أوربا كان يحمل بعض أدبهم ، وبعد أن عاد إلى مصر لم ينفسح له الوقت ليقرأ الشعراء المصريين المحدثين !

والثانى : أن فى كلتا القصيدتين نغمة أسى دفين متهالك . وهو لايحوجنا فى هذا إلى التخمين إذ يقول عن القصيدة الأولى : « أعود أنصت إليه — أى إلى نسيب عريضة — يهدهد طفله فى « ترنيمة سرير » حزينة بموسيقاها المطردة ! » وكان قد قال عن المقطوعة الثانية : « وها نحن منـذ المقطوعة الأولى فى جو الشعر فالنفس تئن »

يكفى إذن عند الأستاذ « مندور » أن تـكون القصيدة لأحد شعراء المهجر ، وأن يكون فيها حزن وأنين ، لتنال منه الحب والاستحسان ! ومرد هذا كما قلت إلى « مزاج خاص » هو إلى الحالات المرضية أقرب فيما أعتقد

هناك عقدتان نفسيتان لعلهما تلتقيان عند عقدة واحدة . فالأستاذ — كما لمحت فى أحاديثى القصيرة معه — حاد المزاج ، سريع التأثر ، شديد الحنين والألفة ، وهى صفات إنسانية تحب ، ولـكنها لا تصلح للناقد ولا يستقيم معها النقد . وهو يقول فى إحدى مقالاته :

بلغنى أن « أمين مشرق » قد قتلته سيارة بأمريكا ، فحزنت وراجعت نفسى فى سر ذلك الحزن ، وهذا رجل ما رأيته قط ، ولا حدثنى عنه أحد ، وإنما هي مصادفات الحياة ساقتنى وأنا طالب ، إلى كتاب به مختارات لشعراء المهجر ، فتفتحت لنغماتهم نفسى ، واصطحبت الـكتاب إلى أوربا سنوات ، وعدت « بكتابى » القديم كما ذهبت به ، وإن تـكن جلدته قد ضاعت ، وأوراقه الأولى قد تآكلت ، وأصبحت لا أعرف له عنوانا . ولـكننى أفزع إليه كلما ضاق الصدر أو عض الألم ، فأجد بين صفحاته من عبير الروح ما يحيى الإيمان

« أمين مشرق ، بين من يضمهم « كتابى » . له فيه صفحات من الشعر والنثر . كم آنست من وحشتى ورفعت من قلبى . إنه صديق قديم »

هكذا كتب الأستاذ « مندور » وأنا « أحب » هذه النغمة منه . ولـكنى من أجلها لا أثق بأحكامه الأدبية — وبخاصة فى الشعر — ومن أجلها كذلك أحذر القراء من الاطمئنان إلى هذه الأحكام !

فى « مندور » حنان وألفة ، وهو قد « هاجر » إلى أوربا وحمل معه إلى المهجر كتاباً يضم مختارات لشعراء « المهجر » وكان هذا وحده يكفى لأن يحب هذا الكتاب وشعراء هذا الـكتاب . ولـكنه كان كذلك كتاب الصبا الذى رافقه وهو « طالب » ، وجلدته قد ضاعت ، وأوراقه قد تآكلت . ولـكنه عاد « بكتابه » القديم كما ذهب به ، فزاده ذلك إعزازاً لديه وأثارة عنده . وصار يفزع إليه كلما ضاق الصدر أو عض الألم . وكان « أمين مشرق » بين من يضمهم كتابه فاستحق لقب « الصديق القديم » وكان سواه من شعراء المهجر كذلك . فـكل منهم إذن هو « صديق قديم » !

ولقد قلت إننى « أخشى أن تـكون حادثة ما أو عدة حوادث كامنة فى ماضى الأستاذ مندور ، تتحكم فى نفسه دون شعور » فهذه حادثة من تلك الحوادث التى افترضتها ومن يدرى فلعل وراءها من نوعها الـكثير !

على أن هناك عاملاً آخر تتأثر به أحكام صاحب « الميزان الجديد » ؛ فقد عاد إلى مصر قريباً ، ولم يتسع له الوقت بعد ليقرأ الشعراء والأدباء المصريين ؛ إذ كان مشغولاً فى الوقت القصير الذى تلا عودته بكتابة رسالة يتقدم بها إلى الجامعة . فهو — كما فهمت من حديث سريع معي — كان يحسب الشعر المصرى هو ذلك الذى تنشره الأهرام فى بعض « المناسبات » ، فأصدر عليه حكماً جازماً سريعاً . كما أنه عند ما تحدث عن « بيجماليون » لتوفيق الحـكيم ، لم يكن قرأ كل مؤلفاته فأصدر عليه حكماً جازماً سريعاً . وهكذا كان أمره ـ فيما أحسب ـ مع شعر العقاد وشعر سواه : نظرة خاطفة سريعة ، وحكم جازم سريع ! وليس هكذا يصنع « أصحاب الموازين » !

* * *

وبعد فلقد كان اليوم موعدى مع القراء لعرض نماذج من الشعر الهامس الصحيح ؛ فمعذرتى إليهم أن الفرغ المتاح قد استغرق كله . وإلى اللقاء القريب .

(حلوان) سيد قطب

إنشاء معهد لفنون التمثيل

ضرورة لا غنى عنها

للأستاذ زكي طليمات
المدير الفني للفرقة المصرية للتمثيل والسينما

[تحية للأستاذ دريني خشبة الذي يعنى بشئون المسرح المصري ويفسح لها من علمه وأدبه]

إن ما تجري عليه الحكومة من وسائل ترقية فن التمثيل وتشجيع القائمين به - وأبين مظاهرها قيام الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى - إنما هو علاج مؤقت لحالة يجب أن يشملها إصلاح واسع يرتكز على سياسة إنشائية ترسم الوجهة التي يجب أن يولى المسرح المصري وجهه شطرها ، ويكون من أول ما تسعى إلى تحقيقه إنشاء معاهد لفن التمثيل تعلم فيها فنونه وصناعاته على حقيقتها ، وتكفل نشر ثقافة حقة لهذا الفن الجليل

وإنا إذ نقرر هـذا ونشير به لا ننسى اعتباراً آخر له أهميته في تدعيم أساس لفن التمثيل وأدبه ، وأعني به المسرحية المحلية ومؤلفها ، بيد أن إيجاد هذا المؤلف النابه لا يتم بمجرد استشعارنا الحاجة إليه والبحث عنه ، إذ أنه من فعل البيئة الثقافية وصنع الواعية الباطنة للمجتمع ، وهذه أشياء تخرج على طوقنا لا حيلة لنا في السيطرة عليها . غير أنه مما لا شك فيه أن إذاعة ثقافية منظمة لهذه الفنون وتنظيم فرق تمثيلية تتسامى في عملها على الارتجال والجهل والتهويش والعرض الزائف لما يساعد على خلق البيئة الفنية الصالحة التي قد ينجم منها المؤلف المسرحي الذي يسجل سمات الإنسانية العامة في معالم جيله ، ويكشف عن القلب البشري في مسرحياته . لهذا نتجاوز عن هذا الاعتبار على أهميته ، لنعالج عنصراً آخر له أيضاً أهميته لأنه مما يقوم عليه المسرح في كل زمان ومكان ، ألا وهو الممثل والمخرج

إن إنشاء معاهد للتمثيل ضرورة ملحة مأتاها أن فن التمثيل باللسان العربي ليس أصيلاً في الأدب العربي ، ولا هو من مرائي الحياة الاجتماعية في مصر ، بل هو لون من الفن والأدب منتحل من الغرب ، دخيل على المجتمع المصري منذ أن تفتحت أبواب من الأدب العربي على الأدب الغربي في أواسط القرن الماضي ، فتقاليده غير ممتدة في التربة المصرية ، وفنونه وصناعاته غير مستبطن دخائلها ، والقائمون بأمره ليسوا كلهم ممـا يرتفع بهم هذا الفن ويسمو ، وذلك لخفة مؤونتهم من التعليم العام والثقافة الفنية .

وإن ما انتهى إليه المسرح المصري في شتى نواحي هـذا الفن ، ولا سيما فن الأداء التمثيلي والإخراج ، إنما هو ثمرة الجهاد الذي يقوم على الموهبة العاجزة والميل الشديد أكثر مما يقوم على الموهبة المثقفة والدراية الكاملة بمعارف هذه الفنون ولمقاليدها ، وهو جهاد كان يسفر ولا شك عن مستوى أرفع مما انتهى إليه لو أنه أحيط بالدراسات التي تنمي مواهب القائمين به وتوسع في آفاق تفكيرهم وتردهم دائماً إلى الموثوق بصحته من التعاليم الفنية ، إذ أن كل فن جميل إنما يقوم على عمادين : الدراسة والميل ، ولا يقوم على واحد منهما

ولا أغالي إذا قررت أن فن التمثيل في مصر يتفرد بين جميع الفنون بأنه قائم من غير مدرسة ولا خطة تعليمية ما ، وهذه حال تثير العجب والأسف في وقت واحد .

وليس فن الأداء التمثيلي وصناعات المسرح وفن الإخراج مما يرتجل ارتجالاً بدفعة الميل والرغبة ، وإمداد الجرأة ، ومواتاة المدارك فحسب ، وإنما هي فنون تقوم على التثقيف النظري الواسع والممارسة السليمة من الزيف ، بعد أن تناولها العلم بالصقل والتوليد ، فقعّد لها القواعد وأصّل الأصول

نقرر هذا من غير أن نجحد ما للمواهب التي تركبها الطبيعة في الخلق من أثر كبير في نتاج الفنان ، فقد وعت حافظة المسرح في مختلف الأقطار أسماء ممثلين اتسم عملهم بالنبوغ من غير أن يخضعوا لتعاليم معهد أو كتاب فن ، ولكن هذا النبوغ قليل ، يكاد يخرج على كل قاعدة وتعليم ، فهو أمر خارق وشاذ لا يؤخذ به في وضع النظم التعليمية العامة

وفن الأداء التمثيلي وفن الإخراج ، عنصران لهما خطرهما وأهميتهما في هـذا الفن . وذلك باعتبار أنهما أداة الاتصال بين المسرحية والجمهور . المخرج والممثل : الأول يرسم وينشيء ، والثاني يؤدي ويطالع الجمهور ، فبطريقيهما يجري التأثير وتتم الفائدة من حضور الرواية

وقد سبق لوزارة المعارف العمومية أن أخذت بوجهة النظر

هذه بعد أن سجلتها فى تقريرى الذى قدمته إليها مفصلاً معززاً بأقوال الثقاة من رجال الفن المسرحى فى أوربا ، وهو تقرير قدمته عام ١٩٢٩ عقب عودتى من البعثة الفنية فى مسارح أوربا ومعاهدها، فكان أن أنشأت معهداً حكومياً للتمثيل عام ١٩٣٠ ، ولكن هذا المعهد لم يقطع من سنى حياته غير العام الأول ، ثم ذهب ضحية المنازعات الشخصية التى كان يختلج بها صدر الوزارة فى ذلك الوقت ، فأغلقت أبوابه بدعوى أنه مخالف للتقاليد الشرقية !

وكان من جراء هذا أن انهار ركن كبير من سياسة إنشائية مرسومة ، وحرم المسرح العربى من أن تعمل فيه وجوه جديدة لها مستواها الثقافى العالى ومواهبها الممتازة ، فكان ذلك القصور المشهود فى فنون المسرح ، وكانت هذه المأساة فى سبيل إصلاحه . وها قد مرت اثنتا عشرة سنة منذ أن أغلق المعهد الحكومى أبوابه ، بذلت أثناءها جهود مختلفة للارتقاء بمستوى المسرح ، ولم تسفر عن شىء فى سبيل تحقيق هذه الغاية ، وبقيت الفرق العاملة تشكو ما كانت تكابده من ضعف فى وسائل الأداء ، وما تعانيه من افتقار إلى وجوه جديدة تحمل المشعل بأيد فتية وتواصل الجهاد إلى جانب ذلك النفر العزيز من الممثلين والممثلات المقتدرين ، وهم نفر قليل عددهم قد برزوا فى فنهم بخصب مواهبهم وفيض مؤهلاتهم . وإننى أتساءل ماذا يحل بالمسرح المصرى فى ناحية فن الممثل لو أن هذا النفر العزيز تنحى عن خدمة المسرح مختاراً بدافع الشبع والزهد ، أو مجبراً بعامل المرض أو الوفاة ؟ .

إن إنشاء معهد للتمثيل أصبح ضرورة لا مندوحة عن مواجهتها لوزارة الشئون الاجتماعية التى آل إليها أمر الفرقة المصرية وإعانات التمثيل والموسيق

وما دامت الوزارة قد أولت المسرح المصرى هذه العناية المأثورة إذ تتعهد الآن بنفسها أمر توجيهه وتقويمه ورعاية القائمين بأمره ، فما أظن أن رعايتها تقصر عن إنشاء معهد للتمثيل يكون حجر الزاوية لمرحلة جديدة ينتقل إليها المسرح وقد رسخت له قدم ثابتة فيما هو جوهر له وأساس .

زكى طليمات

الصديق أبو بكر
بين العقاد وهيكل

للأستاذ محمود أبو رية

كانت هذه الكلمة فى أصلها ستخرج خالصة لكتاب (عبقرية الصديق) الذى أخرجه الكاتب الكبير عباس محمود العقاد ، ولكن عرض ما غير وجهة القول ، وجعلنى أتناول بالحديث كتاباً آخر معه ، ولعل الخيرة فيما وقع

ذلك أن أحد الأدباء واجهنى بسؤال قال فيه : ترى ماذا بقى من تاريخ أبى بكر بعد ما أتى به هيكل باشا فى كتابه ، فيجرى به قلم غيره ؟ وإنى أجيبه هنا فأقول : إن هيكل باشا قد عنى فى كتابه بذكر الأخبار وإيراد الوقائع التى حدثت فى عهد أبى بكر متبعاً فى ذلك سَنَن من قبله من المؤرخين الذين ينقل بعضهم عن بعض

وعلى أنه قد أطال فى النقل حتى خرج عمله فى سفر ضخم ، فإنه - كما قال صديقنا الكاتب السيد محب الدين الخطيب - قد فاته الاطلاع على مراجع وثيقة واعتمد على مصادر واهية لا يصح التعويل عليها (المقتطف والفتح)

ومن أجل ذلك ترى كتابه قد حمل أخباراً ما كان لمؤرخ محقق أن يأخذ بها ، مثل ما روى أن علياً حمل فاطمة على دابة وخرج بها يطوف على الناس يجر هذه الدابة وهى تناشد الرجال وتتوسل إليهم أن ينصفوا بعلها وهم يعتذرون آسفين . وقد عجب الكاتب الكبير إبرهيم عبد القادر المازنى فى البلاغ من إيراد هيكل باشا لهذه القصة وقال « إن المرء لا يحتاج إلى ذكاء أو علم ليدرك أنها مختلقة من أولها إلى آخرها »

ومن الأخبار التى نقلها هيكل باشا إلى كتابه وهى إلى الخرافات أدنى منها إلى الحقائق أن العنكبوت خيمت على الغار لتحجب النبى وصاحبه عن الناس . ومن العجيب أن ما أتى به فى كتابه من مثل هذه الخرافة قد عابه على الدكتور طه حسين يوم أن نشر الجزء الأول من كتابه (على هامش السيرة) وكان مما قاله فى ذلك : « إن هذه الأمور إنما وضعت لإفساد العقول والقلوب من سواد الشعب ولتشكيك المستنيرين ودفع الريبة إلى نفوسهم فى شأن الإسلام ودينه » (السياسة الأسبوعية)

هذا هو كتاب هيكل باشا ونحن بما أظهرنا من نقد - لنا ولغيرنا - لا نغض منه ، وإنما نقول إنه قد أصبح مصدراً من المصادر التى يجد فيها الباحث تاريخ الإسلام فى عهد أبى بكر وبخاصة تاريخ حروب الردة

أما العقاد فقد اتخذ فى تأليفه منهجاً جديداً يباين ما ذهب إليه رجال التاريخ الإسلامى جميعاً ، ذلك أنه جعل وجهته دراسة شخصية أبى بكر وتحليل ملكاته . وقد بين هذا النهج بقوله : « إننى لا أكتب ترجمة للصديق رضى الله عنه ، ولا أكتب تاريخاً لخلافته وحوادث عصره ، ولا أعنى بالوقائع من حيث هى وقائع ، ولا بالأخبار من حيث هى أخبار ، فهذه موضوعات لم أقصدها ... ولكنما قصدت أن أرسم للصديق صورة نفسية تعرفنا به وتجلو لنا خلائقه وبواعث أعماله كما تجلو الصورة ملامح من تراه بالعين ، فلا تعنينا الوقائع والأخبار إلا بمقدار ما تؤدى أداءها فى هذا القصد ... وهى قد تكبر أو تصغر فلا يهمنا منها الكبر أو الصغر إلا بذلك المقدار ، ولعل حادثاً صغيراً يستحق منا التقديم على أكبر الحوادث إذا كان فيه دلالة نفسية أكبر من دلالته ، ولمحة مصورة أظهر من لمحته » (ص ٣)

وهذا المذهب الذى اتخذه لدراسة أبى بكر هو ما نحتاج إليه ولا ريب فى هذا العصر وما يجب على كل كاتب مجيد أن يسلكه ، لأنه كما يقول العقاد : « أوجب مما كان فى الأزمان الغابرة لأن الأسباب التى تغض من وقار للعظمة لم تزل تتكاثر منذ القرن الثامن عشر إلى الآن ... وأن الإنسانية لا تعرف حقاً من الحقوق إن لم تعرف حق عظمائها ، وأن الإنسانية كلها ليست بشىء إن كانت العظمة الإنسانية فى قديمها أو حديثها ليست بشىء » (ص ٦ و ٧)

ولكى يُحكم التصوير ويُوفى بعمله على الغاية جعل من عقله وفكره وعلمه مجهراً جعله أمام شخصية أبى بكر ثم أجرى قلمه على القرطاس ليرسم ما يستعلن فى هذا المجهر حتى خرجت هذه الشخصية فى صورة « صادقة كل الصدق فى جملتها وتفصيلها »

وإذا كانت الصورة الجميلة التى تسترق العين لا يمكن لواصف أن يجلوها على حقيقتها فإنا نشير إلى بعض ملامح تلك الصورة التى أبدعها قلم العقاد إشارة عابرة تومئ ولا تغنى

لقد جعل العقاد من مذهبه إذا ما ترجم لعظيم أن يستقصى

في الدرس ويمعن في التحليل حتى يقبض بيده على مفتاح شخصيته ثم يعطيه لكل باحث لكي ينفذ به إلى سر عبقريتها ، ويكشف عن دخائل ملكاتها . وقد كشفت له دراسته لأبي بكر عن مفتاح شخصيته فإذا هو «الإعجاب بالبطولة» وقد تحدث عن هذه البطولة فقال : إن البطولة التي أعجب بها أبو بكر هي البطولة التي ليس أشرف منها ، بطولة تعرفها النفس الإنسانية ، هي بطولة الحق وبطولة الخير وبطولة الاستقامة ؛ وهي بعد هذا وفوق هذا بطولة الفداء يقبل عليها من يقبل وهو عالم بما سيلقاه من عنت الأقوياء والجهلاء ، تلك هي بطولة محمد » ص٦٨

ولما عرض إلى ما بين أبي بكر وعمر من تقابل قال : « كان أبو بكر نموذج الاقتداء ، وكان عمر نموذج الاجتهاد » ص ٨٤ وبعد أن بين ما بينهما من اختلاف في الصفات قال تلك الكلمة الحكيمة : « وموضع العبرة بل موضع الإعجاز هو تلك الدعوة التي شملت هذه القوى كلها في طية واحدة ، وضمت هؤلاء الرجال حول رجل واحد ، وجذبت إليها أكرم العناصر التي تأتي بالعظائم وتصلح للخير وتقدم على الفداء » ص ٩٥

وإذا كان مما لا ريب فيه أن أهم الأحداث التي نجمت بعد وفاة الرسول إنما هو أمر الخلافة وأمر الردة ، فإن العقاد بعد أن استقصى الأمور كلها – في الأمر الأول – وقلبها على جميع وجوهها قال : « ومصلحة المسلمين في ولايته راجحة في كل حساب ؛ لأن المسلمين كانوا يومئذ أحوج إلى عهد يكون امتداداً لعهد النبي حتى يحين وقت التوسع والتصرف الخ ص ٣٣

ولقد أصاب العقاد في ذلك ، إذ ما كان أحد يصلح للخلافة أو ينهض بأعبائها بعد رسول الله غير أبي بكر ، لا لأنه أفضل الصحابة – فما ذلك قصدنا – ولكن لما كان عليه العرب حينئذ عامة ، وبنو أمية خاصة ، هؤلاء الذين كانت عصبيتهم المكبوتة تنتهز الفرصة للوثبة . فإذا أتيح لها أن تتولى الأمر بعد وفاة الرسول لأعادتها جاهلية ، ولصار أمر الإسلام إلى زوال . وناهيك بما فعلوه بعد أن تولى عثمان أمر المسلمين ، وكانت الدعوة قد استقرت والأمور قد تمهدت ! وإذا كان عهد أبي بكر كما قال العقاد آنفاً امتداداً لعهد النبي فإنه كان كذلك عهد تمحيص وتثبيت . وكذلك ما كان يصلح للأمر بعد أبي بكر غير عمر ولا يتولى بعده إلا من يكون في مثل قوته وصرامته حتى يكون أمر المسلمين بعيداً عن أعاصير الأهواء وعواصف الفتن

أما أمر الردة فبينا نرى هيكل باشا يكتفي بأن يقول فيه عن الذين ارتدوا « إن كثيراً منهم راجعهم الحنين إلى عقائدهم الأولى فلم يلبثوا حين علموا بوفاة رسول الله أن ارتدوا عن دين الله» ص ١٤١ . ويقف في التعليل عند ذلك ، إذ بك تبصر العقاد قد أرجع هذا الارتداد إلى علل منطقية ودلائل عقلية لا نطيل بذكرها . ص١٤١ وهذا هو فرق ما بين من يأخذ الأمور من ظواهرها وبين من يوغل في دراستها إلى أن يصل إلى بواطنها

بقي أمر لا بد من أن نقول فيه كلمة صريحة ، ذلك هو موقف أبي بكر من فاطمة بنت الرسول رضي الله عنها وما فعل معها في ميراث أبيها . وهذا أمر نخالف فيه الأستاذ العقاد وكل من يرى رأيه ؛ لأننا إذا سلمنا معهم بأن خبر الآحاد الظني يخصص الكتاب القطعي ، وأنه قد ثبت أن النبي قد قال إنه لا يورث . وإنه لا تخصيص في عموم هذا الخبر ، فإن أبا بكر كان يسعه أن يعطي فاطمة رضي الله عنها بعض تركة أبيها كأن يخصها بفدك ، وهذا من حقه الذي لا يعارضه فيه أحد ، إذ يجوز للخليفة أن يخص من شاء بما شاء ؛ وقد خص هو نفسه الزبير بن العوام ومحمد بن مسلمة وغيرهما ببعض متروكات النبي . على أن فدك هذه التي منعها أبو بكر من فاطمة لم تلبث أن أقطعها (الخليفة) عثمان لمروان

هذه لمحات قصيرة من ملامح صورة أبي بكر التي صورها العقاد ؛ أما هذه الصورة على حقيقتها فإنه لا يغني القول فيها عن الاطلاع عليها

ولعل القارىء قد أدرك بما بيناه بعد ما بين عمل هيكل باشا وعمل العقاد ؛ فذاك قد آثر حشد الأخبار وسوق الأحداث فعل الإخباريين ، وهذا قد أبدع مذهباً جديداً في التأليف أعانه عليه أنه لم يتوله إلا وهو مستحصد المرة من عقل وفكر ، مستكمل الأداة من اطلاع وعلم . وقد خرج هذا النحو من التأليف في عبارة محكمة السرد لم يستلهم فيها وحي الخيال ، وإنما استعان بمنطق الفيلسوف الذي يفتح من آفاق الحقائق ما لا يبلغه خيال الشاعر أو الكاتب

وإذا كانت مؤلفات العقاد تعمل على تربية العقل وتنمية الفكر فإن ما يكتبه عن عباقرة الإسلام يربى على ذلك بأنه خير دعاية للدين الإسلامي وأنجع وسيلة لإظهار فضل رجاله الذين هم أهل لكل تعظيم .

(المنصورة) محمود أبو رية

حصاد القمر ...!

[وحي سياحة قمرية في ليلة من ليالي الحصاد بين حقول القمح ، والنخيل . حيث كان الشاعر ضيف القمر بقرية « أم خنان » الحاجمة في مروج الجيزة الخضراء]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

سِيَّانِ فِي جَفْنِهِ الإِغْفَاءُ وَالسَّهَرُ   نَامَتْ سَمَا بِلْدُهُ وَاسْتَيْقَظَ القَمَرُ !
نَعْسَانُ يَحْلُمُ وَالأَضْوَاءُ سَاهِدَةٌ   قَلْبُ النَّسِيمِ لَهَا وَلْهَانُ يَنْفَطِرُ
مَالَ السَّنَا جَاثِيًا يُلْقِي بِمَسْمَعِهِ   هَمْسًا مِنَ الوَحْيِ لَا يُدْرَى لَهُ خَبَرُ
وَأَطْرَقَتْ نَخْلَةٌ قَامَتْ بِتَلْعَتِهِ   كَأَنَّهَا زَاهِدٌ فِي اللهِ يَفْتَكِرُ
إِنْ هَبَّ نَسْمٌ بِهَا، خِيلَتْ ذَوَائِبُهَا   أَنَامِلًا مُرْعَشَاتٍ هَزَّهَا الكِبَرُ !
كَأَنَّمَا ظِلُّهَا فِي الحَقْلِ مُضْطَهَدٌ   ضَمَّتْ السَّكِينَةَ عَنْ جَانِبِهِ يَعْتَذِرُ
الدَّوْحُ نَشْوَانُ ! فَاخْشَعْ إِنْ مَرَرْتَ بِهِ
فَضَيْفُهُ البَاطِشَانِ : اللَّيْلُ ، وَالقَدَرُ !
كَأَنَّ أَغْصَانَهُ أَشْبَاحُ قَافِلَةٍ
غَابَ الرَّفِيقَانِ عَنْهَا : الرَّكْبُ ، وَالسَّفَرُ
مَبْهُورَةٌ شَخَصَتْ فِي الجَوِّ ذَاهِلَةً   كَأَنَّهَا لِحَبِيبٍ غَابَ تَنْتَظِرُ !
أَوْ أَنَّهَا نَسِيَتْ عَهْدًا ، وَأَنْعَشَهَا
شَجْوُ الرِّيَاحِ فَهَاجَتْ قَلْبَهَا الذِّكَرُ
أَوْ أَنَّهَا وَالأَسَى المَكْبُوتُ فِي فَمِهَا   بَنَاتُ وَعْدٍ بِهَا عُشَّاقُهَا غَدَرُوا
عَجْمَاءُ تَنْبِسُ كَالتَّمْتَامِ عَاتِبَةً   وَمِلْءُ أَفْوَاهِهَا التَّهْوِيمُ وَالخَدَرُ !
يَا سَاكِبَ النُّورِ لَا يَدْرِي مَنَابِعَهُ   لَأَنْتَ قَلْبٌ يُشِعُّ الحُبَّ، لَا قَمَرُ !
هَيْمَانُ تَحْمِلُ وَجْدَ اللَّيْلِ أَضْلُعُهُ   وَاللَّيْلُ تَقْتُلُهُ الأَشْجَانُ وَالفِكَرُ
كَأَنَّهُ زَوْرَقٌ فِي الخُلْدِ رِحْلَتُهُ   تَيَّارُهُ مِنْ ضِفَافِ الحُورِ مُنْحَدِرُ
يَا طَائِرًا فِي رُبَى الأَفْلَاكِ مُخْتَفِيًا   يَمْشِي عَلَى خَطْوِهِ الإِجْلَالُ وَالحَذَرُ
أَرِحِ اللِّثَامَ ، فَمَهْمَا سِرْتَ مُحْتَجِبًا   نَمَّتْ عَلَى نُورِكَ الأَسْدَالُ وَالسُّتُرُ
عَلَامَ ضَنَّتْكَ بِالأَنْوَارِ فِي زَمَنٍ   إِلَيْكَ يَظْمَأُ فِيهِ الرُّوحُ وَالبَصَرُ !
الأَرْضُ مُظْلِمَةُ الأَسْرَارِ سَاخِرَةٌ   كَأَنَّهَا شَيْخَةٌ بِالنَّاسِ تَتَّجِرُ !
تَقَبَّلَتْ كُلَّ مَوْلُودٍ بِقَهْقَهَةٍ   وَقَهْقَهَ اللَّحْدُ لَمَّا جَاءَ يَنْدَثِرُ !
يَا طَائِفًا لَمْ يَنَمْ سِرٌّ عَلَى كَبِدٍ   إِلَّا وَحَفَّتْ مِنْ أَحْلَامِهِ أَثَرُ
تَمْشِي الهُوَيْنَا ، كَمَا لَوْ كُنْتَ مُقْتَفِيًا
آثَارَ مَنْ دَنَّسُوا مَغْنَاكَ وَاسْتَتَرُوا
لَيْلَاتُكَ البِيضُ وَالأَيَّامُ تَحْسُدُهَا   عَرَائِسٌ عَنْ صِبَاهَا انْحَلَّتِ الأُزُرُ
سَمِعْتُ سِحْرَكَ فِي الأَضْوَاءِ أُغْنِيَةً
حَيْرَى تَأَوَّهَ عَنْهَا الرِّيحُ وَالشَّجَرُ !
وَعَيْتُهَا وَنَقَلْتُ السِّرَّ عَنْ فَمِهَا   لِمَنْ أَبُوحُ بِهِ وَالنَّاسُ قَدْ كَفَرُوا ؟!
آمَنْتُ بِاللهِ ! كُلُّ الكَوْنِ فِي خَلَدِي
هَادٍ إِلَيْهِ .. الحَصَى ، وَالذَّرُّ ، وَالحَجَرُ !
ذَرَتْ عُيُونُكَ دَمْعًا لَيْسَ يَعْرِفُهُ   إِلَّا غَرِيبٌ بِصَدْرِي حَائِرٌ ضَجِرُ !
قَلْبٌ ، كَقَلْبِكَ مَجْرُوحٌ ... وَفِي دَمِهِ
هَالَاتُ نُورٍ إِلَيْهَا يَفْزَعُ البَشَرُ !
إِنَّ العَذَابَ الَّذِي أَضْنَاكَ فِي كَبِدِي
مِنْ نَارِهِ جَذْوَةٌ تَغْلِي وَتَسْتَعِرُ
سَرَى كِلَانَا وَنَبْعُ النُّورِ فِي يَدِهِ
أَنْتَ السَّنَا ! وَأَنَا الإِنْشَادُ وَالوَتَرُ !
وَأَشْرَبَتْنَا اللَّيَالِي السُّودُ أَدْمُعَنَا .   وَأَنْتَ سَالٍ وَنَفْسِي غَالَهَا الشَّرَرُ !
كَأَنَّ وَجْهَكَ فِي الشُّطْآنِ حِينَ غَدَا
إِلَيْكَ يُومِي مِنْ أَدْوَاحِهَا نَفَرُ . . .
مُبَشِّرٌ بِنَبِيٍّ ... ذَاعَ مُؤْتَلِقًا   عَلَى العَوَالِمِ مِنْ أَصْوَاتِهِ الخَبَرُ !
اللهُ أَكْبَرُ ! يَا ابْنَ اللَّيْلِ . . يَا كَبِدًا
لَمْ يُضْنِ أَسْرَارَهَا التَّطْوَافُ وَالسَّهَرُ !
بَكَى الحَيَارَى عَلَى الدُّنْيَا مَوَاجِعَهُمْ
وَصَرَّعَتْهُمْ بَلَايَا الدَّهْرِ وَالغِيَرُ
وَأَنْتَ حَيْرَانُ مُنْذُ المَهْدِ . . . لَا وَطَنٌ
وَلَا رَفِيقٌ ، وَلَا دَرْبٌ ... وَلَا سَفَرُ !

البريد الأدبي

من شعر الأستاذ مصطفى عبد الرازق باشا

نشرت الرسالة فى العدد الماضى بيتين من الشعر لسعادة الأستاذ الجليل الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا ؛ وقد يحسب بعض القراء أن هذين البيتين يتيمان ليس له غيرهما ولكنا نقول لهم إن لسعادته أشعاراً كثيرة ولكنه لم يُعن بنشرها ، ونحن نذكر هنا بضعة أبيات من قصيدة مدح بها الأستاذ الإمام محمد عبده عند عودته من أوروبة وتونس والجزائر سنة ١٩٠٣ (أى منذ أربعين سنة) وها هى ذى :

أقبل عليك تحية وسلام ... يا ساهراً والعالمون نيام
تطوى البلاد وحيث جئت لأمة ... نشرت لفضلك بينهم أعلام
كالبدر أنَّى سار يشرق نوره ... والحق أنَّى حل فهو إمام
إن يقدروا فى الغرب علمك قدره ... فَلَمِصر أولى منهم والشام
فيك الرجاء لأمة لعبت بها ... يُلهى الصغار وجدت الأيام
لا زلت غيظاً للضلال وأهله ... والله يرضى عنك والإسلام

وقد كان جزاءه من شيخه أن كتب إليه كتاباً رقيقاً هذه نسخته :

ولدنا الأديب ...

خير الكلام ما وافق حالاً ، وحوى من النفس مثالاً ، تلك أبياتك العشرة رأيتنى والحمد لله متربعاً فى سبعة منها كأنها الكواكب تسكنها الملائكة وما بقى كله كأنه الشهب ؛ نور للأحباء ، ورجوم للأشقياء ، ما سررت بشىء سرورى بأنك شعرت من علم حداثتك بما لم يشعر به الكبار من قومك . فلله أنت ولله أبوك ![1] ولو أذن لوالد أن يقابل وجه ولده بالمدح لسقت إليك من الثناء ، ما يملأ عليك الفضاء ، ولكنى أكتفى بالإخلاص فى الدعاء ، أن يمتعنى الله من نهايتك ، بما تفرسته فى بدايتك ، وأن يخلص للحق سرك ، ويقدرك على الهداية إليه ، وينشط نفسك لجمع قومك عليه

محمود أبو ربة

وزير سورى يؤلف معجماً زراعيا

عرف الأمير مصطفى الشهابى وزير الدولة فى حكومة سورية المؤقتة بأنه من الأعلام الثقات فى وضع مصطلحات عربية للعلوم الزراعية ، وقد شرع معاليه الآن يطبع معجمه المسمى « معجم العلوم الزراعية » بالفرنسية واللاتينية والعربية وهو معجم يضم نحو عشرة آلاف كلمة .

إلى فضيلة الأستاذ الكبير محمود شلتوت

ملكتْ قلوبنا بحوثك الممتعة فى: نزول عيسى عليه السلام وتقرير العقيدة الدينية على أساس من العلم كما هو متفق وأصول

(١) كان والده المغفور له حسن عبد الرازق باشا صديقاً حميماً للأستاذ الإمام

لـكِنَّ طَرْفَكَ نَشْوَانُ السَّنَا ، ذَهَبَتْ
مَنَابِعُ السِّحْرِ مِنْ نَجْوَاهُ تَنْهَمِرُ !
قِفْ مَرَّةً فى سَمَاءِ النِّيلِ وَاصْغَ إِلى
مُحَيَّرِينَ سَرَوْا فى الحَقْـلِ وَانْتَشَرُوا
قَوْمٌ ... هُمُ الدَّمْعُ وَالآهَاتُ تَحْيَاهُا
أَقْفَاصُ عَظْمٍ لَهُمْ مِنْ خَطْوِهَا نُذُرُ !
كَادَتْ مَنَاجِلُهُمْ وَاللهُ مُشْرِعُهَا ... بَأْسَ الحَدِيدِ مِنَ البَأْسَاءِ تَنْصَهِرُ !
مَشَوْا بِهَا فى مَغَانِى النُّورِ تَحْسَبُهُمْ ... جَنَائِزاً ... زُمَرٌ أَنْتَ لَهَا زُمَرُ !

جَاسُوا الحُقُولَ مَسَاكِيناً جَلَابِيبُهُمْ ... تَوْرَاةُ بُؤْسٍ عَلَيْهَا تَقْرَأُ العِبَرُ
يَجْنُونَ أَيْدِيهِمْ ضَنْكاً وَمَتْعَبَةً ... مِمَّا أَفَاءَ لَهُمْ وَادِيهِمُ النَّضِرُ !
سَاءَلْتُ سُنْبُلَهُمْ : مَا سِرُّ شِقْوَتِهِمْ ... وَمِنْ غُبَارِ يَدَيْهِمْ مَرْجُكَ العَطِرُ ؟
فَمَالَ وَاسْتَرْجَعَتْ عِيدَانُهُ نَغَماً
يَلْغُو مِنَ المَوْتِ فى أَصْدَائِهِ سَمَرُ !
وَإِذْ بِهَا فى تُرَابِ الحَقْلِ نَائِمَةً ... تَحْكِى تَوَابِيتَ لَمْ تُوجَدْ لَهَا حُفَرُ
بَكَى الحَصِيدُ عَلَى أَحْزَانِ غَارِسِهِ ...
مَتَى سَيُحْصَدُ هَذَا الدَّمْعُ ... يَا قَمَرُ ؟!

الدين : وإعجاباً بما أفاضت علينا الرسالة الغراء من سامى تحقيقك وخالص نصحك أرجو إفادتى عن :

١ — قول بعض العلماء المتقدمين كالنووى والقاضى عياض بصحة الأحاديث الواردة فى نزول عيسى واستدلالهم عليه بأهل السنة

٢ — إذا ثبتت صحة الأحاديث الواردة فى نزوله ، ولكن لم تنهض دليلاً لاعتقاد ذلك لأنهـا لم تبلغ حد التواتر الذى تبنى عليه عقائدنا ، فما موقفنا إزاء تلك الأحاديث الصحيحة ؟

دسوقى ابراهيم

رفع اعتراض

أخذ الأستاذ محمد محمود رضوان على الأستاذ العقاد أنه استعمل الحرف « لا » جوابا لسؤال هو « ألا تزال تضرب امرأتك ؟ » وحقيقة أن همزة الاستفهام إذا دخلت على النفى كان الجواب بالحرف « بلى » إثباتاً وبالحرف « نعم » نفياً . ولكن العبارة التى معنا لم تدخل فيها الهمزة على نفى ، بل دخلت على إثبات ، لأن لا للنفى وتزال للنفى ، ونفى النفى إثبات ، فهى فى قوة قولك « أتضرب امرأتك إلى الآن » فكيف تكون الإجابة بعد ذلك بنعم ويكون المراد بها نفى الضرب ؟ لعل هذه القاعدة مقيدة بما إذا كان النفى لم ينتقض .

محمد أبو سريع حسين
بمعهد القاهرة

ذكرى السيد جمال الدين

بهذا العنوان قرأت أول ما قرأت بشوق ولهفة مقال الأستاذ محمود شلبى فى عدد الرسالة ٥٠٦

فهو لعمر الحق مقـال ممتع قوى التعابير ، محكم التراكيب تعلوه موجة أدبية لا يشعر بها إلا من منحه الله ذلك الإحساس الفنى والشعور الأدبى

وكيف نستكثر على الرسالة واتجاهها هذا اللون الإنشائى وهى قد مهدت الطرق لرفع مستوى الأسلوب الفنى فى مصر والأقطار العربية ؟ وإنى لا زلت أتذكر جيداً كلمة أستاذنا محمود البشبيشى فى موضوع الرسالة ، وقد كان يدرس لنا الإنشاء إذ قال إن الرسالة حملت عبء مدرس الإنشاء فى المدارس العالية ، وقد كان المدرس ينوء بحملها

وقد استرعت تفكيرى أمور فى مقال الأستاذ شلبى لا يحسن السكوت عليها ، فقد ذكر أن السيد جمال الدين ولد فى قرية (أسعد أباد من قرى كنر) ولا أعلم من أين أخذ الأستاذ هذه المعلومات فى حياة هذا الفيلسوف العظيم . وعلى فرض أنه استند إلى جريدة أو مجلة فإن قراء الرسالة لا يغتفرون له هذا الاستناد بل يرجون منه ومن غيره تحقيقاً وتمحيصاً فإن آذانهم مرهفة ، وأبصارهم شاخصة لكل ما يكتب فى الرسالة

وكان الواجب على الأستاذ أن يطلع على الكتاب الذى أصدره منذ سنيات عن السيد جمال الدين ومحمد على الكبير مساعدُ أستاذ فى الجامعة الأمريكية ببيروت باللغة الفارسية واسم الكتاب (مودان نامى شرق) فهذا الكتاب منجم ثرى لمن أراد الكتابة عن السيد جمال الدين وفيه مراسلات جيلة وطريفة بينه وبين العالم السيد مرزا حسن الشيرازى

أما ولادته ففى قرية (أسداباد من قرى همدان) لا فى قرية (أسعد أباد من قرى كنر) وفى هذه القرية اليوم مدرسة اسمها (الجمالية) تخليداً لذكرى السيد جمال الدين

ودراسته الأولى كانت على والده ثم رحل إلى النجف ، وله فيها حتى الآن أصهار وأقارب . وإذا أراد الأستاذ التعرف إلى أقاربه فإنى أحيله على الأستاذ المحامى السيد صادق كمونة فى النجف فهو خير من يعرف عنهم

أما قبره ففى تركيا وقد كان مهجوراً دارساً إلا أن المستر كراين الأمريكى تبرع لبنائه لما زار تركيا . وللأستاذ شلبى منى ألف تحية .

(بغداد) عبد الكريم الدجيلى
المدرس بدار المعلمين الابتدائية

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)